سيمياء اللون في قصص فؤاد التكرليّ
قصة (الهواتف الملوّنة) إنموذجاً

المدرس الدكتور
عبّاس فاضل عبدالله الموسويّ
وزارة التربية ـ المديريّة العامة لتربية ذي قار
abbassfidl2017@gmail.com

Sima color in the stories of Fouad Tkrli short The story (color phones) is a model

Dr. Abbas Fadhel Abdullah Al Mousawi
Ministry of Education / General Directorate of Dhi Qar Education

الملخص:

تزخر الحياة بكل تقلباتها بأطياف متنوعة ومختلفة من الألوان؛ ولكل حالة من الحالات التي يعيشها الإنسان بأفراحها وأحزانها لون معين يكون انعكاساً للمزاج الذي يمرُّ به؛ إذ يُثبت تأريخ الحضارات بأنَّ الإنسانَ قد عرَف منذ أكثر من ٢٠٠ ألف سنة تأثيرات اللون على النفس، فاكتشف الآثار التي تتركها الألوان على بعض الكائنات وتابع بشكل فطريّ التغيرات الناتجة عن ذلك، ويرتبط عدد من الألوان ببعض الطقوس والعادات التي ترسختْ فيها بعد وأصبحت عقائد متجذّرة لا يمكن الابتعاد عنها أو غض الطرف عن أهميتها، أو مجافاة الاهتمام بها[1]؛ لأنّها من أغنى الرموز اللغويّة التي توسع مدى الرؤيا؛ إذ إنّه لكلّ لون خصائص انفعاليّة يستجيب لها البصر ويغذّيها الخيال، تستثير المتلقّين على اختلاف بيئاتهم وثقافاتهم، فتباين عاداتهم وتقاليدهم، وهناك علاقة وثيقة بين المثير والاستجابة الناتجة عن اللّون، غالباً ما تكون مرتبطة بالمرجعيّات الثقافيّة أو البيئة التي نشأت فيها تلك الألوان، وهذا يعني افتراض وجود علاقة بين (المعجم اللّونيّ) وبين (مجالات التعبير) الحقيقيّ أو المجازيّ في الفنون القوليّة.

الكلمات المفتاحية: السيميائيّة ، سيمياء اللون، أثر اللون، دلالات اللون، اللون والسرد القصصيّ، تجلّيات اللون في القصّة.

Abstract:-

The history of civilizations proves that man has known for more than 200 thousand years the effects of color on the soul, and discovered the philosophical dimensions that The color of one of the richest linguistic symbols is a combination of a number of colors and some of the rituals and customs that have become entrenched and become deeply rooted beliefs that can not be avoided or overlooked. Expand the range of vision. There is a close relationship between the stimuli and the response resulting from color, and often the response is linked to the cultural reference, which means assuming a relationship between the chromatogram and the Fields of expression (real or figurative) in colloquial arts.

Keywords: semiotics, color cues, color effects, color indications, color and narrative, color manifestations in the story

مدخل:

تحتل (السيميائيّات) مكانةً مهمة ضمن المناهج النقدية المعا صرة؛ وإن كان ا لبعض يعتبرها مجرد موضة من الموضات، فإنَّ هذا الوصف لم يُنقص من قيمتها ك منهج علّ مي وإجرائيّ في الدراسات الأدبيّة وتحليل النصوص بالدرجة الأولى؛ بل ولم يزد المشتغلين بها إلّامقاومة لكلِّ نزعة تميل إلى التبسيطيّة؛ لذلك فهي في الاعتبار ال صحيح منهج لا يم كن التقليل من أهميته أو التقليص مما يمكن أنْ يفتحه من سُبل وآفاق جديدة تُنير مجاهل الت عبير الأدبيّ والفنّيّ(٢).

شاع استخدام (السيميائيّات) بوصفها علماً للإشارات، وأحد الحقول المعرفيّة الراسخة في مجال الدراسات اللسانيّة الحديثة أو المعاصرة، في بداية القرن العشرين على يد كل من عالم اللغة السويسريّ (فردينان دي سوسور) والمنطقيّ الأميركيّ (تشارلز بيرس) وا لذين جاءوا من بعدهما مثل (رولان بارت) و(إمبرتو إيكو)؛ إذ إنّ هذا العلم يُعدّ جد يداً من خلال تزعمه للنزعة العلميّة التي تسعى لدراسة العلامات وأنظمتها في المجتمع؛ وذلك من خلال تأويل وتحليل الأنظمة التي يبتدعها الإنسان ليدرك بها واقعه ويدرك بها نفسه، أي إنَّ السيميائيّات علمٌ يتناول كل العلامات التي نراها يومياً، وفي كلِّ المو جودات جا مدة أو حيّة، أمّا في النقد الأدبيّ فقد أخذت بعداً آخر مع (جوليا كر ستيفيا) تحد يداً، فالتحل يل الدلائليّ الذي تقوم عليه (السيميائيّات) عند هذه الناقدة يجد نف سه منتم ياً إلى الخلف ية الفرويديّة، وفي مستوى آخر ماركسيّ، فالعلاقة مع الذات وخطاباتها يقوم التحليل الدلائليّ بالشكلنة التي يهدف بها التفكيك بدون أنّ يقترح أي نسق عام مغلق(٣).

أمّا الألوان فتعد واحدة من أهم الإيقونات التي اهتمت بها (السيميائيّات) من جهتين، الأولى بوصفها ـ أي الألوان ـ تشكيلاً بصريّاً يحملُ عدداً من المستويات الدلال يّة، والثان يّة بوصفها اقتصاداً لُغوياً يُستثمر سمات لسانيّة لتكوين قنوات تواصليّة جام عة بين المتل قي والباث للرسالة. ويثبت المتخصصون ذلك بدراسة نظرية الألوان وتأثيراتها ع لى الإن سان بالتجربة العمليّة، فسيمياء الألوان تتدافع مع العواطف النفسيّة لدى الإنسان؛ إذ إنّها تثير فيه مختلف المشاعر والاحاسيس من إحباط وتفاؤل ورغبة وغيرهما، فلكلُّ لون مزاياه المثيرة والمحفّزة، وبخلاف الناحية الجماليّة فإنَّ دراسة تأثير اللّون على سيكولوجيّة وفزيولوج يّة

الجسم البشريّ قد أعطت نتائج يمكن الاستفادة منها في توضيح مدى العلاقة[٤].

ويعرّف اللون لغوياً بأنّه هيئة مثل السواد والحُمرة، فيقولون لونّته فتلوّن، ولون كل شيء: ما فصل بينه وبين غيره، والجمع ألوان، وقد تلوّن ولوّن لونه، والألوان ضروب[٥] فيما يشير آخرون إلى أنّ هذا اللفظ يبدأ باللام التي تُدخل شيئاً في شيء آخر، وفي هذا إشارة إلى تركيب الألوان من عناصر عديدة تظهر في صورة واحدة يظهر العنصر الذي يسود بالنسبة الأعلى من عناصر الألوان الأخرى في التركيب نفسه[٦]. أمّا إصطلاحاً فإنّه يعني - وبحسب الموسوعات العلميّة - صورة معينة للأجسام نتيجة إحساس العين بالموجات المختلفة حين ينعكس الضوء على جسم معيّن، فيمتص بعضها ويردُّ بعضها الآخر، فيؤثر هذا الجزء المردود على العين فتحس باللون وتدركه بشكل كامل[٧]. وترتبط سيمياء الألوان وشفراتها بالنّصوص الأدبيّة من خلال توظيفها أو توضيح الكيفيّة التي يتم استعمالها في النّص، فضلاً عن ذلك ما توحيه من رموز وعلامات تساعد في تفسير العمل الأدبيّ وتشريحه والوقوف على أُسس الجمال فيه أو مواطن الضعف والخلل لنقدها وتقويمها، ويؤكد أحد الباحثين في سيمياء اللون بأنّ تلك الجاذبيّة التي يحققها اللون عنصر مهم من عناصر التشكيل الجماليّ في الفنون بعامة لاسيما الأدب ، وما للون من فاعلية ومن تأثير لابدَّ من دراسته في آيات الكتاب العزيز، لكشف تماسّه مع اللغة والمكونات النقديّة للعمل الادبيّ، والوقوف على علاقة اللون بالشعر، فرصدوا انعكاساته على الإبداع، وتأملوا قدرة الشاعر في التعامل مع مكوناته ودلالاته من خلال دراسات تطبيقيّة مستقلة، وتوجه بعضها الى الشعر القديم وبعضها الاخر الى الشعر الحديث.[١] فاستخدام اللون كان منذ القديم وما يزال شعاراً ورمزاً لشيء معين، أمّا في العصر الحديث فقد تم استخدام اللون بوصفه تقليداً أو شبه تقليد دأب عليه الكثير من الكتّاب بمختلف اتجاهاتهم الفلسفيّة ورؤاهم النقديّة وايدولوجياتهم الفكريّة[٨].

إنّ هناك علاقة رابطة بين الألوان وبين أسمائها، المستوحاة من التأثيرات التي تسببها بعض الحركات التي يقوم بها الكائن الحي وما ينتج عنّها من ردود فعل، ومن خلال هذا الترابط التفاعليّ "فإنّ اللغة العربية مملوءة بتعبيرات ملونة ربما تتعلق برد فعل فيسيولوجي أو نفسي لدى الانسان، فاذا ما ضحك ضحكة صفراء، فربما كانت الصفراء هي (العصارة المرارية) التي تلعب دوراً في هذا النوع من الغضب المكبوت، وإذا قيل إنّ هذا الشخص

يتطاير الشرر الأحمر من عينيه، هذا لأنَّ الدم الذي يزدحم في الرأس يتأثر به النظر، هذا اللون الأحمر يعني الإثارة والفعل القوي، أمّا إذا خفف وخفض تأثيره فإنّه يصبح ورد ياً، دلالة على الحياة السعيدة النشطة اللطيفة، فيقال حياة وردية وهذا يعني السعادة والاتزان في العيش، والأسود فإنّه يعني انعدام اللون والضوء، إنّه الحزن والموت الذي يرمز له"[٩] و قد قيل إن للون جوانبه السيكولوجيّة، فمن يختار لونا ما، فإنّما يحكمه موقف ما، و من هنا ذهب البعض إلى القول بأنَّ في كلً لغة من لغات العالم مجموعة من الألوان التي تفرض دلالاتها على نفسيّات المجتمع، فنجد هناكَ من يحب اللون الأخضر، لارتباطه بفصل الربيع، ومنهم من يحب اللون الأزرق لارتباطه بزرقة السماء أو البحر، والبعض الآخر يعشق لوناً معيناً لاقترانه بيوم طيب وسعيد، فيبقى يذكّره بهذا اليوم، وهكذا مع أنَّ هذه الدلالات تتغير بتغير الظروف والأزمنة والمؤثرات النفسية والمقاييس الذوقية لكلٍّ فرد[١٠]. بينما يختلف استعمال بعض الألوان المتضادة باختلاف البيئة، فمثلاً يستعمل اللون الأبيض في بعض البلدان للإشارة إلى الحِداد على الموتى، بينما في بلدان أخرى يكون اللون الأسود هو لون الحزن والحِداد، ويعود هذا التباين في الاستعمال إلى الفلسفة تجاه بعض الألوان والنظرة التي يؤمن بها كل شعب من الشعوب. وقد وقف الدارسون كثيراً في دلالات الألوان والكيفيّات التي وظّفها (القرآن الكريم) في بعض آياته، إذ حلّلوا استعمال ألفاظ الألوان على ضوء المناهج النقديّة الحديثة فوجدوا على سبيل المثال، إنَّ اللون ينقلب دلالياً داخل بعضها ليأخذ لوناً آخر غير لونه الأصليّ، فيكوّن إزدواجية اللون الأصلي شكلاً، واللون الطارئ عمقاً، فعندما نقرأ مثلاً قوله تعالى ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾[١١] فالحزن الذي هو جدلية البكاء ومع الألم الروحيّ ولد العمى الذي هو في عمقه سواد غير ظاهر لكنَّ إبيضاض العين هنا هو الذي كان (سيمياء العمى) وليس السواد، حيث تحول اللون الأبيض الى أسود بالمعنى، فكوّن إيقاعاً بين هذا التضاد العجيب في شخص يعقوب النّبيّ (عليه السلام) فتحول هذا البياض السلبيّ إلى بياض إيجابيّ مستقبلاً حينما أُلقي قميص نّبيّ الله يوسف على وجه أبيه، فرجع بصره الذي هو في إحدى دلالاته البياض الشكليّ والجوهريّ أيضاً، وقد يكون الإيقاع النفسيّ للون تقليدياً لكن خصوصية الحدث داخل النص هو الذي يجعل من هذا اللون تأسيسيّاً، فنرى ذلك مثلاً في قوله تعالى ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا * قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾[١٢] فاللون

الأصفر لون تقليديّ ينعكس عند العرب بلون الصحراء، وألوان بعض الحيوانات التي يمتلكونها، بيد أنَّ اللون هنا مع فقاعته يولد شيئاً مزدوجاً ووا حداً في آن معاً، لإظهار شخصيّة هذه البقرة، فيكون هذا اللون وإيقاعه سيمياء المعجزة الإلهيّة في إحدى جوانبه[١٣]؛ ولأن "اللغة تتميز من بين الأنظمة السيمائية الأخرى بميزة أساسية، كونها تعمل بطريقتين للتدليل: الطريقة السيميائية والطريقة الدلالية semantigue بمعنى أنها تخلق المعنى، مرة عن طريق العلامات الدالة وهذه هي الطريقة السيمائية، ومرة عن طريق المجموع الكلي للنظام اللغوي بعلاقاته المتبادلة مع ما يشير إليه وهذه هي الطريقة الدلالية"[١٤] فإنَّ هناك ما يُسمى بإيقاع اللون الذي يُعطي البعد الدلاليّ والرمزيّ لكل لون من الألوان المعروفة، كما أنّ تكرار اللون الواحد يعطي في كل مرة دلالة مختلفة عن الأخرى وبحسب مكان الاستعمال، فلو تأملنا الظُلم لوجدنا أنَّ هذه الكلمة التي وردت عشرات المرات في القرآن مشتقة من كلمة (الظلام) الذي هو عمق السواد، وربَّ علاقة بين الظلم والظلام؛ حيث إنَّ الظلم أداة لنشر السواد معنويّاً بين الناس، من خلال إحياء صفة إفساديّة بعكس النور الذي أوردناه سابقاً، وقد جمعت آية بين قيمة الظلام وقيمة النور في قوله تعالى ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[١٥] وفي آيات أخرى كان للظلام قيمة اللون الإيجابيّ حينما كان صفة الليل الذي هو سكن للناس أي راحتهم، فالظلام الشكليّ تحوّل إلى نور باحتماله الراحة للناس.

وحينما نستطلع نص سورة (القدر) نجد كرنفالاً من الألوان لا نجد مثيله؛ إذ إنَّ هناك هالة من الإيقاعات اللونيّة الجياشة فـ(الليل) الذي هو مظلم شكلاً ومضيء جوهراً بوصفه سيمياء للراحة، تخصص في إحدى ليالي رمضان المبارك بـ(ليلة القدر) هذا الظلام المضيء شكلاً وجوهراً، فهي ليلة توازي ألف شهر بلياليها ونهاراتها، وهي وقت نزول الملائكة والروح بعدما كان موضعها السماوات ووقتها يستمر حتى ظهور الفجر، فصارت هذه الليلة تعادل ثمانين سنة ونيفاً من السنين أي ما يقارب القرن، وصارت مركزاً للسماء أيضا باستقبالها لأهم شخصيات السماء – الملائكة والروح – وحينها تحول ايقاع اللون هنا الى معزوفة خالدة تمثل الزمن كله [١]. هذه الشواهد كلّها تُعاضد قيمة اللون وتأثيرها على العملية الإنتاجيّة للنّصوص الأدبيّة بمستوياتها المختلفة، وبعد هذه الجولة في سيمياء اللون

ودلالاتها يجب القول إنَّ هناك عدداً من النّصوص الأدبيّة ـ شعراً وسرداً ـ قد وظّفت الألوان في نسيجها اللغويّ وبأبعاد مختلفة؛ إذ إنّه تكمن خلف هذا التوظيف بعض (الأنساق المضمرة) والشفرات التي لا تنكشف بسهولة مالم تكن هناك مفاتيح تأويليّة، وواحدة من هذه البنى النّصيّة مجموعة قصصيّة للكاتب العراقيّ فؤاد التكرلي؛ إذ اخترنا منها قصة قصيرة بعنوان (الهواتف الملونة) لِما تحمله هذه القصة من دلالات وإشارات ورموز قام الكاتب بتوشيح نصّه بها لإيصال رسالة احتّجاج على الوضع الفوضويّ الذي مرّ به البلد في فترة معينة من تأريخه، فاختار (سيمياء ألوان معينة) ليكمن خلفها ويحكي لنا المسكوت عنه في الحياة، معرّياً الواقع المأساويّ الذي عاشته شريحة واسعة من المجتمع، واضعاً يده على مكامن الخلل التي أدت إلى تدهور الوضع وانحدار الأخلاق في عوالم السياسة، موضحاً الشرخ المجتمعيّ الكبير.

سيمياء الألوان في قصة (الهواتف الملونة):

تدور أحداث هذه القصة القصيرة في بيئة عراقيّة تحديداً في العاصمة بغداد، وزمنها ما بعد إسقاط النظام السابق عام ٢٠٠٣، وشخصيّاتها هي البطل الرئيس فيها والذي رمز له الكاتب بالضمير (هو) والخادم (خيشان) وشخصيّات ثانويّة/هامشيّة أخرى، لم يرسم القاص صورهم كاملةً؛ بل نتعرف عليها من خلال أصواتهم عبر الحديث معهم في الهواتف الثلاثة ذات الألوان المختلفة، ولا نسمع أصواتهم من خلال الحوار بينهم وبين البطل (هو) إلّا عن طريق الإجابة عن أسئلتهم وأوامرهم وتوجيهاتهم للبطل، أو بعض الطلبات والمستلزمات البيتيّة وشؤون الحياة الأُسريّة. وهذه الشخصيّات هي: زوجة البطل، وحسن رئيس (عصابة الخطف والقتل) وحمزة السائق أو بحسب ما يطلقون عليه (أبو الزوز). ويبدأ الكاتب قصته بشيء من مسرحة الأحداث، حيث يبدأها بعرض أسماء الشخصيّات الرئيسة:

- هو - الخادم خيشان - العراق في الوقت الحاضر

ثم يعرض لمكان قصته وهي غرفة صغيرة يقوم البطل (هو) بالاتصال من خلال ثلاثة هواتف لديه، أحدها لتنفيذ عمليات خطف وابتزاز، والثاني للتفاوض مع شركائه، من أجل الحصول على منصب معيّن في الدولة، مقابل تنفيذ عمليات خطف وقتل وابتزاز لصالحهم؛ وكذلك رشاوى لأولئك المسؤولين، والهاتف الثالث مخصص لزوجته أو لبيته

بصورة عامة وهذا الهاتف بالذات هو الذي يثير أعصابه وغضبه، وتنتهي القصة بقتله على يد الخادم (خيشان).

إنَّ تباين الدور النفسيّ للألوان عامة يترجم التداعيات التي تكون مرتبطة ذاتياً بالمخزون التاريخيّ للإنسان، من ظروف النشأة والتربية والأحداث واللذكريات السّارة والحزينة والمستوى الثقافيّ والاجتماعيّ للفرد والجماعة وما يتعلق بذلك[١٦]؛ لذلك فإنّ القاص قد اتّكأ على استعمال ألوان متنوعة ومختلفة الوظائف أيضاً في قصته هذه، فهذا الاستعمال وكما يبدو من خلال التحليل السيميائي للملفوظ السرديّ للقصة، لم يكن اعتباطاً أو جاء من دون هدف محدد؛ إذ إنّ لكل هاتف دلالة وسيمياء خاصة به سنتناولها بالتفصيل.

يمكننا القول بأنَّ الكاتب قد اختار ثلاثة ألوان ليعطي إحساساً ويخلق وعياً لدى المتلقي بأنَّ البطل الذي يستعمل تلك الهواتف هو من الشخصيّات الانتهازيّة والوصوليّة، فضلاً عن أنّه (أميّ) أي لا يقرأ ولا يكتب للإشارة على أنّه من الطبقات الهامشيّة التي تسعى إلى احتلال المركز وتبوأ مناصب حكوميّة مهمة؛ لذلك استعمل القاص ألواناً متنافرة وخصص كل لون منها لجهة معينة قد حددها في إدراكه الخاص بالتمييز بين الألوان لمعرفة الجهة المتصلة، وهذا شائع ومألوف جداً؛ إذ غالباً ما يستعمل الأشخاص الذين لا يقرأون ولا يكتبون رموزاً معيّنة في هواتفهم الخلويّة من أجل معرفة هوية المتصل، واللدليل على أنَّ الكاتب كان يقصد من استعماله هواتف ذات ألوان عديدة، إنّه لا يستعمل أياً من هذه الهواتف الثلاثة في غير محلّه؛ لذلك فإنّ هناك تحديداً مسبقاً من لدن القاص لجهة الاتصال من لون الهواتف، حتى بدأ القارئ نفسه يعرف جهة الاتصال من خلال لون الهاتف التي تسبقه، بسبب كثرة الاستعمال للهاتف نفسه والجهة المخصّص لها نفسه، وكالآتي:

أ. حين يرنُّ الهاتف الأخضر يعرف بطل القصة بأنَّ الاتصال قادم من بيته، وتقف زوجته خلف السماعة.

ب. حين يرنُّ الهاتف الأصفر يدرك البطل بأنَّ حسن (معاونه في عمليات الخطف والابتزاز) يريد أن يُطلعه على أمرٍ مهم للغاية.

جـ. حين يرنَّ الهاتف الثالث الأحمر، وهو الهاتف الأكثر أهميةً من بين الهواتف الثلاثة الأخرى، عندما يعرف البطل بأنَّ رؤساءه بالتنظيم الحزبيّ يريدون أن

يكلفونه بمهمّة جديدة، أو لتلقي أوامر وتوجيهات سياسية لتنفيذ عمليات خطف، وذبح أو قتل وتفجير.

إن القاص قد وظّف إلى جانب دلالات الألوان رمزية ألوان إشارات المرور؛ ليعطي تأويلاً جديداً للأنساق المضمرة ومد شبكة الرموز إلى أبعد مكان في الفهم واستثمارها في النص وإشباعه بالدلالات. أمّا إذا أخذنا رمزيّة ودلالة كل لون فنجد أنّ:

١- سيمياء لون الهاتف الأخضر:

لون الاخضرار والنمو، ويعرّفه أحد الباحثين المعاصرين بأنّه لون الطبيعة، وهو منعش ومهدّئ يوحي بالراحة اذ يضفي بعض السكينة على النفس ويسمح للوقت أن يمر سريعاً ويساعد الإنسان على الصبر(١٧). وقد خّصص من القديم لمساحات الألعاب والسجاجيد ويستعمل في تهدئة النفس وفي معالجة بعض الأمراض النفسية ومنها الهيستيريّة (١٨)، فدلالات هذا اللون تنطبق على الجنوح للعائلة والسكون إلى الراحة وتحّل العناء من أجلها، وكذلك ومرور الوقت على الإنسان سريعاً بين عائلته، عكس الغربة والابتعاد عنهم، بغض النظر عن سلوك الأب في خارج البيت وبعيداً عن النظر إلى عمله وعلاقاته وهي غريزة فطريّة إنسانيويّة أوجدها الله سبحانه وتعالى حتى في السباع الضاريّة، فالبطل في قصتنا هو قاتل أو إرهابيّ سفّاح ـ كما يصوره القاص لنا ـ لكن في الوقت عينه تبقى نوازعه الفطريّة تميل نحو العائلة وعلى هرمها زوجته وشريكة حياته؛ ويمكننا استنتاج ذلكَ من خلال تخصيصه هاتفاً معيّناً لتلقي الاتصالات مباشرةً من البيت. ولا يمكننا أن نغفل بأنَّ (اللون الأخضر) هو أحد ألوان العلامات أو الإشارات المروريّة، فهو يعني حسب قوانين المرور، الاستمرار بالسير، فيمكن أن يكون التكرليّ قد استعمله ليدّل على استمرار علاقة الأب (البطل الرئيس في هذه القصة) مع عائلته، فنجده يقول مثلاً: "لا أستطيع أن اتلوى، لم اجرب هذا من قبل، أنا إنسان مستقيم كالعصى، مجرم.. نعم، يمكن، الا اني مجرم مستقيم لا يعرف ان يتلوى"(١٩) وهذه إشارة إلى الازدواجيّة في شخصيّة هذا المجرم الخطير، فهو يعيش بواقع شخصيتين متناقضتين جداً، الأولى ربّ الأسرة الذي ينفذ جميع متطلباتهم الحياتيّة بشتى الوسائل وإن كانت عن طريق الكسب الحرام، كي يتساوى أفرادها مع بقية العوائل المرموقة الأخرى، الشخصيّة الثانيّة التي يعيشها (بطل القصة) هي شخصيّة المجرم الذي لا

يتوانى عن الذبح من أجل المال والمنصب، فأراد القاص من استثمار هذه الشخصية لتعرية الواقع المزري الذي تمرُّ به البلاد من خلال وصول هذه النماذج البشريّة للسلطة وموقع المسؤولية، فنقرأ في موضع آخر من القصة هذا الواقع الذي تعيشه الشخصيّات غير المستقرة نفسيّاً واجتماعيّا، فيقول القاص:

"الهاتف الأخضر يرنّ ويعطي الإشارة. يرفع السماعة بتردد... أنت أيضاً؟ ماذا تريدين؟ نعم؟ أية أخبار؟ عرضوا عليَّ أن أكون وزيراً بلا وزارة. (ينصت لحظات) أنت فعلاً مجنونة. تهلهلين هكذا كأنه اليوم يوم عرسك يا مخبولة. ماذا أعمل بهذه الوزارة؟ أعرف يا غبية، أعرف أني سأصير وزيراً وصاحب معالي، ولكن.. ما القبض من ذلك؟ ما الفائدة من وزير بلا وزارة؟ ألا تفهمين؟ من أين أجيء بالمصرف؟ من يعطيني كي أشتري لك هذه المخشلات التي تغرقين فيها"(٢٠). من هنا نتبين بأنّه بالرغم من طبيعة هذه الشخصيّة العدوانيّة، إلّا أنّها تريد إشراك من حولها لاسيما الزوجة والأبناء بالفرحة التي تعمّه بأنه سيكون مسؤولاً كبيراً وذا شأن وجاه وحظوة لدى الحكومة، هذا الشيء يعاضد دلالة لون هذا الهاتف ويؤكد دقة اختيار القاص له، وعنايته بتمرير الرسالة من خلال خطابه هذا، وقد وفّق بذلك التمازج والتقارب بين اللون ودلالاته التي يفرزها، وإن كانت التبريرات غير مقنعة بطبيعة الحال بأنَّ على الإنسان توفير كل شيء لعائلته وحرصه على اسعادها بكل طريقة ووسيلة ولو على حساب دماء الناس وفرصهم في الحياة والحقوق والأمان، وهذا خلاف الأخلاق والمروءة والفطرة الأولى للإنسان.

٢- سيمياء لون الهاتف الأحمر:

إنّه لون النار والدم ويسبب الإحساس بالحرارة، وإنَّ اشعاعاته القريبة من المنطقة تحت الحمراء في المجموعة الطيفيّة تتغلغل بعمق في أنسجة جسم الإنسان، فضلاً عن ذلك فإنَّ هذا يُزيد من الانفعال الثوريّ، ولهذا فهو يسبب ضغطاً دموياً قوياً وتنفساً أعمق، وهو لون ذو تأثير قوي على طباع ومزاج الإنسان(٢١) ويعد هذا اللون من أوائل الألوان التي عرفها الإنسان في الطبيعة، فهو لون البهجة والحزن وهو لون العنف ولون المرح، والحزن ومن أكثر سمات هذا اللون ارتباطه بالدم، وهو لون مخيف نفسيّا ومقدس دينيّاً، مثلما نجد في (نصوص الحضاريّة) وقد استعملته بعض الشعوب كتعاويذ لحماية الجنود من الجراح، كي

لا ينزفوا إذ ماجُرحوا[٢٢]، وهذه الدلالات الكثير منها ما ينطبق تمام الانطباق على ا لهاتف الذي يستعمله بطل قصتنا والذي من خلاله يقوم بتنفيذ أوامر القتل والذبح. فسيمياء هذا الهاتف وما يؤديه من وظيفة مادية يتوافق[٢٣] مع دلالات وإيحاءات هذا اللون تماماً، ويمكن القول بأنَّ القاص التكرليّ قد كان موفقاً الى حد بعيد في توظيفاته تلك، فيؤكد نص من القصة القصيرة إلى ما ذهبنا له، فنقرأ عبارة: "الهاتف الأحمر يرن ويعطي ا شارة، يغ لق سماعة الهاتف الاخضر بشدة، نعم (سماحتكم). كلا كلا لا خبر جديد من الاخ ال كبير، الاخ الاكبر! آه، نعم فهمتُ ،ماذا يريد؟ نعم أربعة أجا نب بالخ طأ، أمريـ كي وبريـ طاني واستراليان. نعم "ينصت لحظة ثم يصرخ" اذبح الامريكي!؟ والسبب؟ العفو (سماحتكم)، خرجتُ عن طوري ،هو فقط؟ هو الأول، حسنا حسنا، الآن؟

بعد اسبوع كما تأمر، ماذا تقولون سماحتكم؟ علناً؟ ما معنى علناً في هذه ال شؤون؟ آه.. نصور عملية الذبح بالفيديو ونرسل الشريط الى محطة التلفزيون"[٢٤].

أمّا إذا أجرينا مقاربة لونيّة لا ستنتجنا بأ نّه طب قاً للإ شارات المرور يّة وعلاماتـ ها السيميائيّة، فإنَّ هذا اللون يعني دلالة أخرى غير تلك الدلالة المعروفة، وله شفرةً سيمائيّة ذات مغزى بعيد عن دلالة اللون الأحمر المرتبطة بالدم وبالقتل فقط، ففي عالم الإ شارات المروريّة تعني الإشارة الحمراء عندما تضاء في لوحة المرور بالتوقف تماماً والسماح لل حارة بالعبور أولاً، وثانياً إعطاء فرصة لسائقي السيارات الأخرى في الجانب الآخر من ال شارع للعبور؛ فهي إذاً إشارة أو سيمياء صامتة من دون حاجة إلى الشرح المفصّل، وحال تطبيـ قه على قصتنا هذه نجد بأنَّ نهاية البطل المأساوية، أو الجزاء الذي يستحقه؛ لأ نه كان مُنـ فذاً لأعمال الشر من القتل والتسلط قد أتته ـ تلك النهاية ـ من الأشخاص الذين كانوا يتحدثون معه بالهاتف الأحمر، فعندما تمرد عليهم وبدأ المماطلة بدفع الأموال لهم من أجل الحصول على المنصب الموعود به، فنلاحظ انقلاب الدلالة من سيمياء الدم الى النها يـة أو التو قف وإعطاء الفرصة للآخرين. فكانت النهاية بموت هذا القاتل واستمرار غيره بالمهمّة نفسها، إذ نقرأ في نهاية القصة "يخرج خيشان ببطء شديد مسدسا من جيبه ويبدأ بـاطلاق الر صاص عليه مع هبوط الستارة"[٢٥] وهذا يعني بأنّ نهاية هذا المجرم كانت من قـبل أ سياده ا لذين كانوا يستخدمونه آلة للتنفيذ، وكانت سيمياء الاسم واضحة جداً؛ إذ إ نّه (خيـ شان) غير العربيّ، إشارة إلى التدخل الأجنبيّ في إرباك الوضع الداخلي للبلاد.

٣- سيمياء لون الهاتف الأصفر

هو لون ضوء الشمس، وإنَّ التجارب السيكولوجيّة قد برهنت على انه لون المزاج المعتدل والسرور، وإنّه مركز نورانيّة شديدة في مجموعة ألوان الطيف، ولون محرّك و منهض للاعصاب؛ فيُستعمل أحياناً لعلاج بعض الامراض العصبية؛ لأنّ بعض الألوان الصفراء الساخنة قادرة على تهدئة بعض الحالات العصبية الشديدة [٢٨]، وقد وظّف التكرليّ هذا اللون للدلالة على الاستعداد الدائم والتهيؤ من قبل الآخرين، فمن خلال هذا الهاتف الأصفر يقوم بطل قصة (الهواتف الملونة) بإعطاء الأوامر والإشارات ليقوم مساعدوه بعمليات القتل والذبح والابتزاز والخطف، وربّما استند التكرليّ في ذلك على سيمياء الثقافة التي ينماز بها المجتمع، والاتكاء على رموزها التي يعني هذا اللون بحسب قوانينها شفرة التهيؤ للانطلاق، بينما تكون الدلالة الأخرى لهذا اللون هي الشر من خلال بعض التسميات التي تحمل دلالات الإيذاء من قبيل (ريح صفراء، وعقرب صفراء).

ويعطينا التكرليّ في قصته المشار إليها أعلاه ،إشارات ملوّنة كل لون حسب موقعه، وكل سيمياء حسب المقال المرسوم لها، وهي سيميائيّات مدروسة بشكل دقيق جداً وليست اعتباطيّة او عشوائيّة عفويّة كما أشرنا لذلك سابقاً، فيقول القاص:

"الهاتف الاصفر يرن ويعطي إشارة. يسرع قليلا إليه ويرفع السماعة: هالو..حسن؟ لا تخابرني في هذا الوقت. قلتُ لك ذلك ألف مرة. الا تعلم بأني انتظر خبراً مهماً"[٢٦]. من جهة أخرى نجد هذا البطل يقول لأفراد عصابته:

"حسن قل لهذا الحمار التاجر ان عليه ان يدفع عشرين دفتراً بسرعة (...) حسنا يا حمار، إخطف بسرعة، لا تتأخر الجماعة معك، حسنا لا تتأخر"[٢٧] وتكون حركة البطل القلقة دائماً من خلال الذهاب والإياب داخل غرفة المكتب، عكسيّة مع الهواتف الملونة؛ إذ يتعامل البطل مع كل هاتف بشكل مختلف نتيجة ما يحدثه فيه هذا الهاتف؛ لذلك كانت كل حركة أو كل إشارة؛ إذن فسيمياء اللون بصورة عامة قد فعلت فعلها في هذا النص القصصيّ، من خلال ألفاظ الألوان التي تدل وترمز الى أشياء لا يفصح الكاتب عنها صراحة، وهي من مضمرات النّص التي لا تعطي نفسها بسهولة للقارئ، مالم يتمعّن ويقف ملياً، حول الآليات التي طوعها القاص، فالتكرليّ استعمل الرمز المكثّف في هذه القصة

القصيرة لتمرير بعض الأفكار (خطيرة) التي يمكن إدراجها من ضمن التابوهات الاجتماعيّة أو المسكوت عنه.

هوامش البحث

(١) يُنظر: اللغة واللون، احمد مختار عمر، عالم الكتب للتوزيع و النشر، القاهرة، ط ـ ١ ، ١٩٩٧: ٢٠.

(٢) السيميائيات أو نظرية العلامات، جيرارد ولودال، ترجمة عبد الرحمن بو علي، دار الحوار سوريا، ط ١ ـ ٢٠٠٤: ٧.

(٣) القصة القصيرة في فلسطين بعد اتفاقية أوسلو (دراسة سيميائيّة) نجوان محمد أكرم، إبراهيم أ ـبو شرخ، رسالة ماجستير، كلية الآداب/الجامعة الإسلامية في غزة ٢٠١٢، بإ شراف ا ـلدكتور نبـيل خا ـلد أ ـبو علي:٦٠.

(٤) سيمياء اللون في الشعر السعودي المعاصر، خالد بن محمد الجديع ، مجلة عالم الكتاب المجلد ٢٩ الـعددان ٥ــ ٦ عام ٢٠٠٨، ١٤٢٩ هـ: ٢.

(٥) لسان العرب، مادة لون ، ابن منظور، تحقيق عبدالله علي وآخرون، دار المعارف /القاهرة (د ت ط).

(٦) يُنظر: اللون ودلالاته في شعر البحتري، نصرة محمد محمود شحادة، رسالة ماج ستير، جام عة الخلـيل ـ فلسطين ٢٠١٢: ١.

(٧) يُنظر: الرسم و اللون، محيي الدين طالو، طبعة الشام ، دمشق ، ط ٧ ـ ١٩٩٣:١٦٣.

(٨) دلالات اللون في الفن العربي الاسلاميّ، د. عياض عبد الرحمن الدوري، دار الشؤون الثقافية بـ غداد، ط ١ـ ٢٠٠١: ١٩ ـ ٢٠

(٩) نظرية اللون، د . يحيى حمودة: ٤ .

(١٠) يُنظر: سيمولوجية الألوان وحساسية التعبير الشعري عند صلاح عبد الصبور، د .حـنان بو عـالي، مجـلة الأثر، العدد ٢٣ ، ٢٠١٥:٣٢٢.

(١١) سورة: يوسف:٨٤.

(١٢) سورة:البقرة:٦٩.

(١٣) سيمياء اللون في شعر بلند الحيدريّ، نا ـئل درو ـيش سليمان الم صريّ، ر سالة ماج ستير، كلـية الآداب/الجامعة الإسلاميّة ـ غزة، بإشراف الدكتور وليد محمود أبو ندى، ٢٠١٤: ٨٠، ٨١ .

(١٤) اتجاهات الشعرية الحديثة (الأصول والمقولات) الدكتور يوسف إسكندر:١٦٦.
(١٥) سورة: البقرة:٢٧٥.
(١٦) الفيض الفني في سيمائية الألوان عند نزار قباني "دراسة سيميائية/لغوية في قصائد من الأعمال الـ شعرية الكاملة"، الدكتور ابن حويلي الأخضر الميدني، مجلة جامعة دمـ شق، الـمج ١٢، الـعدد (٣ـ ٤) ٢٠٠٥: ١١٣.
(١٧) يُنظر: نظرية اللون، الدكتور يحيى حمود: ١٣٦.
(١٨) يُنظر: الفيض الفني في سيمائية الألوان عند نزار قباني "دراسة سيميائية/لغوية في قصائد ـمن الأعـمال الشعرية الكاملة"، الدكتور ابن حويلي الأخضر الميدني: ١١٥.
(١٩) قصة (الهواتف الملونة): ١٢٣.
(٢٠) القصة:١٢١
(٢١) يُنظر: نظرية اللون، الدكتور يحيى حموده: ١٣٥.
(٢٢) يُنظر: دلالات الألوان في شعر نزار قباني، أحمد عبدالله محمد حمدان، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا ٢٠٠٨: ٤٤.
(٢٣) يُنظر: نظرية اللون، د. يحيى حموده: ١٣٥.
(٢٤) قصة (الهواتف الملونة): ١١٩ .
(٢٥) يُنظر: نظرية اللون، د. يحيى حموده: ١٣٧.
(٢٦) قصة الهواتف الملونة: ١١٦.
(٢٧) القصة:١١٧، ١١٨.

قائمة المراجع والمصادر

١- القرآن الكريم، برواية حفص بن سُليمان بن المغيرة الأسديّ الكوفيّ لقراءة عاصم بن أ ـبي النَّ جود التّابعيّ عن أبي عبد الرّحمن عبدالله ابن حبيب السُّلميّ عن عثمان بن ع ـفان، وعـ ـليّ ـبن أ ـبي طالب، وزيد بن ثابت، وأُبيّ ابن كعب عن النّبيّ ﷺ.
٢- حديث الاشجار(قصة الهواتف الملونة) ، مجموعة قصصية لفؤاد التكرلي، طبعة خاصة، دار المدى ـ ٢٠٠٨.
٣- اتجاهات النقاد العرب في قراءة النص الشعري، سامي عبانة، عالم الكتب الحديث ط ١ـ٢٠٠٩.
٤- دلالات اللون في الفن العربي الاسلامي، د. عياض عبد الرحمن الدوري، دار الشؤون الثقافية، ط ١ـ ٢٠٠١.

٥- الفيض الفني في سيمائية الألوان عند نزار قباني"دراسة سيميائية/لغوية في قصائده من الأعمال الشعرية الكاملة"، الدكتور ابن حويلي الأخضر الميدني، مجلة جامعة دمشق، المجلد ١٢، العدد (٣-٤) ٢٠٠٥.

٦- القصة القصيرة في فلسطين بعد اتفاقية أوسلو (دراسة سيميائيّة) نجوان محمد أكرم، إبراهيم أبو شرخ، رسالة ماجستير، كلية الآداب/الجامعة الإسلامية في غزة ٢٠١٢، بإشراف الدكتور نبيل خالد أبو علي.

٧- سيمياء اللون في شعر بلند الحيدريّ، نائل دروبش سليمان المصريّ، رسالة ماجستير، كلية الآداب/الجامعة الإسلاميّة - غزة، بإشراف الدكتور وليد محمود أبو ندى، ٢٠١٤.

٨- سيمياء اللون في الشعر السعودي المعاصر، خالد بن محمد الجديع ، مجلة عالم الكتاب المجلد ٢٩ العددان ٥ــ ٦ عام ٢٠٠٨م ـ ١٤٢٩ هـ.

٩- سيمولوجية الألوان وحساسية التعبير الشعري عند صلاح عبد الصبور، د. حنان بوقالي، مجلة الأثر، العدد ٢٣ ، ٢٠١٥:٣٢٢.

١٠- السيمياء مصطلحا وتأريخاً وموضوعاً واتجاهاً، الدكتور يوسف محمد جابر إسكندر، مجلة كلية الآداب، العدد٨٦ لسنة ٢٠٠٨.

١١- السيميائيات أو نظرية العلامات، جيرارد ولودال، ترجمة عبد الرحمن بوعلي، دار الحوار سوريا، ط ١ - ٢٠٠٤.

١٢- اللغة واللون، احمد مختار عمر، عالم الكتب للتوزيع والنشر، القاهرة، ط - ١- ١٩٩٧.

١٣- نظرية اللون، د يحيى حمود ، (دون اسم الناشر ومكان الطبعة) ط ١ ـ ١٩٨١.